شعائر الدفن والبحث عن الخلود لدى المصريين القدماء

Burial and the search for immortality in the ancint Egyptians

حماد حنان*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2

Hananehammad2020@gmail.com

بالقاسم رحماني

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2

rahmanibzh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/24 تاريخ القبول 2021/05/21 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص: اعتقد المصريون القدماء في الخلود بعد الموت وان الحياة كلها ما هي الا دورات متكاملة من ولادة وشباب وهرم ووفاة وولادة اخرى في عالم آخر منفصل عن عالم الدنيا، وقد حدث هذا الانقسام بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى كنتيجة طبيعية لمعتقدات الحياة ما بعد الموت، وقد تغلب المصري على حسب ظنه عن الموت في سبيل البحث عن الخلود من خلال بناء المقابر الشاهقة كالأهرامات والمقابر المنحوتة في عمق الصخور لكي يخفي جسده الذي تعلم ان يحافظ عليه من خلال عملية التحنيط مرفقا بالتعاويذ وكل مستلزمات الحياة في العالم الآخر وذلك كي يظل هو بجسده وروحه حيا حيث لا خلود بتلف الجسد بالإضافة الى طقوس الدفن الذي برع في القيام بها.

الكلمات المفتاحية: الدين؛ المعتقد؛ التحنيط؛ شعائر الدفن؛ الخلود؛ قدماء المصريين.

* المؤلف المراسل

Abstract: The anciente Egyptians believed in immortality after death and the whole life is nothing but integrated cycles of birth, youth, oldage, death and other birth in another world separate from the world of the world, and this division between this life and the other life occurred as a natural result of the beliefs of life after death. According to his assumption of death in order to search for immortality through the construction of tall tombs such as pyramids and tombs carved deep into the rocks in order to hide his body which he learned to preserve through the process of embalming accompanied by spells and all the necessities of life in the other world so that he with his body and soul remain alive where he does not Immortality by damage to the body.

The influence of religious beliefs on the soul of the ancient Egyptian had a great influence, especially those related to funeral doctrines. Immediately after the death of a person, he began preparing for the funeral, which is accompanied by several rituals and rituals preceded by mummification, this gave an advantage to the Egyptian civilization.

key words: Religion; mummification; Immortalit; Burial rites ; the ancient Egyptians.

مقدّمة:

كان لتأثير المعتقدات الدينية في نفس المصري القديم تأثيرًا كبيرًا وخصوصًا تلك المتعلقة بالعقائد الجنائزية، فمباشرة بعد وفاة الشخص يشرع في التحضير للجنازة والتي يصاحبها عدة شعائر وطقوس يتقدمها التحنيط، الذي يعتبر اهم مرحلة بعد الوفاة لبقاء الجسد خاليا من أي تلف ليكون شرط من شروط الخلود في العالم الآخر وهذا ما اعطى ميزة للحضارة المصرية.

الهدف من المقال ابراز أهمية التحنيط في معتقد الحياة ما بعد الموت لدى قدماء المصريين، من خلال هذا الطرح نجد أنفسنا امام الاشكالية التالية: ماهي شعائر الدفن التي كان يقوم بها المصريين القدماء؟ ما علاقة التحنيط بضمان الخلود في الديانة المصرية؟ ماهي المراحل التي مرت بها عملية التحنيط؟ وما هو السر من وراء بقاء الجثة سليم دون تلف وتفسخ؟

ومن خلال اتباعنا للمنهج التاريخي الوصفي والتحليلي استطعنا الوصول الى العديد من النتائج التي تخدم القارئ وذلك بالتعرف على فلسفة الخلود عند قدماء المصريين، والشعائر التي ترافق المتوفي عند الدفن لضمان الخلود في العالم الاخر، كذلك التعرف على

شعيرة التحنيط ومراحلها، وآلهة التحنيط والاماكن التي تقوم فيها هذه العملية، هذا اضافة الى ادوات التحنيط والمواد المستعملة في هذه العملية وذلك من خلال سرد مراحل عملية التحنيط بالتفصيل.

قال هيرودوت: أن المصريين هم أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس، فقد عثر على نقوش مدونة على الأهرامات جاء فيها أن النفس خالدة لا تموت [1]؛ مما جعل الاعتقاد في الخلود أساس الديانة المصرية وجوهرها، كما أكد "ول ديورانت" في كتابه قصة الحضارة على أن أهم ما ميز الدين في مصر القديمة توكيده لفكرة الخلود[2]، وأنه لا يوجد شعب من الشعوب القديمة احتلت في نفسه فكرة الحياة ما بعد الموت المكانة العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصري[3]، ولهذا اعتقد المصريون بحياة أخرى وأنها باقية بعد الدنيا الفانية، فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل اعتقدوا أن الدنيا الأولى ما هي إلا ممر إلى ذلك الخلود[4].

كانت الحياة على الأرض في نظر المصريين أجمل من أن تنتهي إلى العدم عند الموت، وقد استمدوا ذلك من نظرتهم إلى انتظام فيضان النيل في الصيف على انه نوع من أنواع العودة للحياة، كما اقتنعوا بما روج له في أساطير التجديد من ولادة وحياة وموت النباتات ثم ولادتها من جديد مع الفيضان[5]، كما كانت الشمس هي العنصر الآخر الذي ألهم المصري القديم عقيدة البعث والخلود؛ فالشمس تشرق في الصباح وتسطع طوال النهار ثم تختفي مساء في الأفق الغربي، ولكن هذا الاختفاء ليس إلا مؤقتا لان الشمس لم تكف عن الحياة، وخير دليل على ذلك هو معاودتها الظهور في الصباح التالي بعد أن أمضت الليل في عالم غير مرئ بالنسبة لهم، لذلك اعتقدوا بان الحياة الإنسانية تتماثل مع المسار اليومي للشمس التي ترسل أشعتها الواهبة للحياة طوال اليوم ثم تغرب في المساء فالإنسان؛ يولد كما تولد الشمس في الصباح[6]، ولذلك اعتقدوا بان هناك حياة خالدة

يعيش فيها المرء حياة أبدية وان الدنيا فترة انتقال إلى عالم الخلود[7]،كما كان التوحد مع "أوزريس" الأمل الرئيسي في الخلود[8].

وقد نشأت عقائد البعث والخلود مبكرة في مصر، ونضجت من خلال عادات الدفن في العصر الحجري الحديث وكانت بيئة مصر ومناخها الوسط المناسب لنمو مثل هذه الأفكار[9]، وقد ساعدت درجة حرارة تربة مصر على الحفاظ على جسد الميت، الذي كان يدفن في رمال الصحراء أو في صخور الجبال المحيطة بالوادي[10].

اعتبر المصري بأن الإنسان يتألف من ثلاثة قوى روحانية سرمدية خالدة هي "الكا"، "البا"، و"الاخ"؛ "الكا" هي القرين[11]وكان يفسر الموت بأنه هجر "كا" للموتى وهي تشبه صاحبها تماما، كما اعتبر القبر دار ل "كا" وان القرابين إنما تقدم إليها وهي في نظرهم الملاك الحارس للإنسان وصورت على شكل ذراعين بشريتين مرفوعتين الى الاعلى، أما (البا) فهي النفس، وكانت (البا) بعد موت الجسد تأخذ شكل طائر برأس بشري تطوف في عالم الاحياء وتعود الى المقبرة شرط ان يكون الجسد خاليا من اي تلف[12]، حيث لا تعيش إلا إذا كان الجسم سليما وسلامته هي التي تجعله صالحا لعودة الروح إليه بعد أن فارقته بالموت، ولذا فقد بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الجسم وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت[13]، فقاموا بتحنيط الأجساد حتى تحل "كا" في الجسد عندما تريد مع تمثال للميت يشبهه تمام الشبه يوضع في مكان أمين حتى يمكن لـ "كا" أن تجد فيه السمات الشخصية التي تفقدها الجثة بمرور الزمان، بل وبدأوا بوضع الأثاث المنزلي مع جثمان الميت في القبر حيث يعيش في عالمه الآخر، ثم استمروا في وضع إمداد القبر بشكل دوري بالطعام لأجل المحافظة على حياة "كا" الميت لكي يعود للجسد ويحي المتوفي الحياة الخالدة، و"الاخ" هي العنصر الجسماني الثالث للإنسان

وهي ازلية لا تموت وتوصف بانها الروح النورانية التي تنتمي الى عالم الالهة وتمثل على شكل طائر له عرف.

تصور المصريون القدماء الموت على انه انفصال العنصر الجسماني عن العنصر الروحي ويموت الانسان وتموت المعبودات مثله، وكان الموت بالنسبة لهم مجرد انتقال من حالة حياة الى حالة حياة اخرى، ولا تكون الحياة الثانية بالضرورة مشابهة تماما للحياة على وجه الارض ولكن مقاربة للأصل، كان التفكير في الموت وفي الحياة الاخرى شغل قدماء المصريين ويرجع ذلك الى العوامل الطبيعية من حوله، فكان ايمانه بذاك له اكبر الاثر في قيام كيان عقائدي وفكر ديني يعتبر اساس كل المعتقدات الدينية المصرية، فقد ارتبط الخلود في عقيدة المصري القديم بفكرة التجدد الجسدي والروحي ومن ثم اعادة الخلق، فاعتقد ان الموت ليست نهاية كل شيء بل ان الانسان يواصل الحياة تماما كما لو كانت على الارض، شرط ان تتوفر له الشروط الضرورية للوجود والكينونة والديمومة [14] وهي الحفاظ على جسد المتوفي من غير تلف لذلك برعوا في تحنيط الجثة للحفاظ عليها.

يمكننا تتبع شعائر الدفن التي كانت متبعة عند دفن المتوفي في مصر القديمة من خلال العديد من النصوص والمناظر المصورة على جدران المقابر، واهم واطول هذه الشعائر هي عملية التحنيط؛ اول مراحل شعائر الدفن هي خروج الموكب الجنائزي من منزل المتوفي حيث يوضع في تابوت يقوم بحمله مجموعة من الاشخاص مرفقون بعملية البكاء والنواح متجهين الى صالة التحنيط مع القيام بحرق البخور من طرف النائحات والنائحين، لتبدأ عملية التحنيط.

يعد التحنيط من أهم الشعائر الجنائزية عند المصريون القدماء ولم يشارك فيها أي شعب من الشعوب القديمة وكانت سرا من اسرارهم الخاصة التي حيرت الكثير من العقول البشرية (عن طريق التفكير الانساني)، حيث برعوا في هذا العلم وكان الهدف منه الحفاظ

على اجسادهم، وهو محاكاة ضمنية لما حدث في أسطورة "أوزيريس" التي جسدت عقيدة الحياة ما بعد الموت.

كان حفظ الجثة أو تحنيطها أول طقس يلجأ إليه أهل الميت[15]، بعد الوفاة مباشرة وكانوا يحملون الجسد ويذهبون به الى احد ورشات التحنيط التي تقع بالقرب من الجبانة ويحاولون الاتفاق مع رئيس الورشة او المشرف على المحنطين على امرين أولها إمداد الورشة بكافة المعلومات عن هوية المتوفي ومعاينة طرق التحنيط الثلاث واختيار احداها ودفع التكاليف.[16]

وتعتبر الهوية اهم ما كان يهتم به المصريون القدماء لأن فقدان الهوية في نظره لا يمكن تعويضها فذلك يعني عدم تعرف الروح على صاحبها، لأن ورشة التحنيط كانت تستقبل المئات من الاجساد في وقت واحد او في خلال ايام قليلة، واذا ما تكدست هذه الاجساد داخل الورشة دون معرفة هويتها فهذا معناه كارثة ولا سيما وأن سكان مصر تجاوز المليون نسمة في منتصف عصر الدولة الحديثة ق15-ق10 ق.م، وكانت نسبة الوافيات عالية في ذلك الوقت ويحرص اهالي المتوفي بربط الجسد بمعلومات مهمة مثل: اسمه، لقبه، محل اقامته وتاريخ وفاته، وهذه الاخيرة هي التي تهم المحنطين لأنهم كانوا يقدرون مدة التحنيط على تاريخ الوفاة. [3]

وقد شاعت بين علماء المصريون كلمات كثيرة تعطي تعبير الحفاظ عن الجسد ومن اقدم الكلمات التي اطلقت على علم الحفاظ على الجسد هي الكلمة المصرية القديمة "وت" او "وتي" وهي كلمة ظهرت منذ بدايات الكتابة المصرية القديمة، واراد المصريون بهذه الكلمة وصف مرحلة واحدة فقط من خطوات الحفاظ على الجسد الا وهي التكفين أي لف الجسد بلفائف الكتان والكلمة الثانية هي كلمة لاتينية (mummification) لكن هذه الكلمة مشتقة من اصل فارسي والتي تعني "اسود اللون" لانهم في القرن الخامس قبل

الميلاد لاحظوا ان الاجساد تحولت بعد تحنيطها الى اللون الاسود ومن الكلمات الشائعة ايضا الكلمة الاغريقية (embalming) اي اغراق الجسد في البلسم وهي مادة شاع استخدامها في العصر الإغريقي في تحنيط الاجساد اي ان الكلمة اطلقت على المادة المستخدمة في التحنيط، اما اشهر الكلمات على الاطلاق فهي التحنيط وهي كلمة عربية اشتقت من كلمة "الحنوط" ومن كلمة الحنوط جاءت لفظة "الحانطي" وهو الشخص الذي يقوم بدهن النعش والجسد وتطلق كلمة "الحانوتي" على الشخص الذي يقوم بغسل الموتى وتحضير النعش.[17]

والتحنيط يقوم به مجموعة من العمال كانوا يعملون بورشة التحنيط أشار لهم هيرودوت حيث ذكر رجل يحدد فتحة التحنيط أي مكان اخراج الاحشاء" ويسمى "الكاتب"، اما الرجل الذي يقوم بفتحها فيسمى الجراح، اما صاحب الدور الرئيسي فهو المنفذ والذي يرتدي قناع الاله "انوبيس"، وهناك الكهنة المساعدون ويطلق عليهم لقب وتو أي المكفنون، وكاهنان اخران يقومان بأدوار معينة مثل كاهن حور[18] ، ويلبس هذا الكاهن قناع الاله "حورس" اما الكاهن الاخر فيسمى "سشمو" ويقوم بلف اللفائف.

اما عن آلهة التحنيط فهناك ثمانية آلهة ارتبطوا بشكل مباشر بمراسم التحنيط وطقوسه وإجراءاته وهم مرتبون بحسب أهميتهم[19]،"إيزيس" التي قامت بتحنيط زوجها بمساعدة الالهة ودفنته "نفتيس" أخت "أوزيريس"، أنوبيس اله التحنيط الذي ارسله الاله رع كي يساعد "إيزيس" زوجة "أوزيريس" في جمع اشلاء زوجها وإعادة دفنه، وأولاد حورس الأربعة جاءوا في مراسم تحنيط "أوزيريس" بناءً على أوامر الاله "أنوبيس"[20]، ويبقى اهم هذه الآلهة الاله "أوزيريس" الذي كان اول اله يحنط في ذاكرة المصريين لذلك اراد المصريون ربط مصيرهم به، فالتحنيط بكل تفاصيله هو تمثيل لما حدث للإله أوزيريس وجسده عندما حنطه الالهة ودفنوه بعد مقتله.

أ–اماكن التحنيط: من خلال بعض نقوش المقابر واغطية التوابيت نجد ان هناك ثلاث اماكن ترتبط بحفظ الاجساد:

1.أ– مكان يطلق عليه لفظة "وعبت" هو المكان الطاهر وهو عبارة عن ورشة او مبنى مؤقت من الطوب اللبن او مواد مؤقتة كالبوص المجفف للوقاية من الشمس والخشب وكان مقسم من الداخل الى ثلاثة اقسام، قسم لغسل الجسد وقسم يتعلق بتجفيف الجسد وقسم اخر يتعلق بلفائف الكتان.

2.أ– مكان يسمى "ايبو" هو عبارة عن مبنى من المواد الخشبية او سعف النخيل وكان هذا المبنى مرتبط بمصدر للمياه لان الهدف منه ان يكون خيمة للتطهير.

3.أ– مكان يطلق عليه "بر نفر" اي البيت الجميل ومن المحتمل ان هذا المكان مرتبط بالدهانات والعطور ولفائف الكتان.[21]

أما بالنسبة لطرق التحنيط فقد ذكر المؤرخون القدماء ومنهم هيرودوت في كتابه عن مصر وديودور الصقلي[22]، ان المصريون لديهم ثلاث طرق ودرجات من التحنيط: غالية، متوسطة ورخيصة حسب الطبقات الاجتماعية ومدى ثرائها، فالأولى يقوم فيها المحنط بتطبيق كل خطوات التحنيط كاملة، باستخدام المواد عالية الجودة التي كانت تستورد من لبنان وسوريا واليونان والصومال، ويقوم فيها المحنط باستخراج انسجة المخ بألة خاصة ثم استخراج باقي الاحشاء، أما عن النوعية المتوسطة من التحنيط فيتم فيها استخراج الاحشاء بتحليلها عن طريق حقن الجسد بحقنة مملوءة بزيت الارز، ثم يجفف

الجسد بعد ذلك ويتم دهنه ولفه بلفائف الكتان، وتختلف هذه الطريقة عن سابقتها في عدم الاهتمام بالحفاظ على اعضاء الجسد الداخلية وانما يحللها عن طريق الحقن وايضا يستخدم المحنط مواد محلية مثل زيت الخروع، في حين تمثل النوعية الرخيصة من التحنيط والخاصة بالطبقة الفقيرة تجفيف الجسد ودهنه بالدهون ولفه باللفائف دون استخراج الاحشاء.[23]

وفيما يخص مدة التحنيط فهناك الكثير من النصوص المصرية التي تعلقت بالمدة الزمنية للتحنيط ترجع بعضها الى عصر الدولة القديمة حوالى القرن 27ق.م، قد اختلفت المدة الزمنية في كل هذه النصوص فبعضها يشير الى ان مدة التحنيط ثلاث مئة يوم والبعض الاخر لا يتجاوز الاربعين يوما والبعض يتفق على انها استغرقت مئتين واثنين وسبعون يوم، وان اشار بعضهم الى ان هذه المدة الزمنية هي الفترة التي استغرقها بناء المقابر والانتهاء من تشييدها وهناك نص اخر يشير الى ان عملية التحنيط استغرقت ثمانين يوم وتتفق معظم النصوص على أن مدة التحنيط كانت تستغرق سبعين يوم ما عدا بعض النصوص التي لم يتفق العلماء على صحتها او الهدف منها.[24]

اما عن ادوات التحنيط فقد استخدم المحنطون عدة ادوات للتعامل مع الخصائص التشريحية لنزع المخ وفتح البطن لاستخراج الاحشاء وغيرها.

كانت اغلب هذه الادوات مصنوعة من البرونز في ما عدا فرشات التحنيط المصنوعة من سعف النخيل، وكانوا يستخدمونها للإزالة ملح النطرون، ومن بين هذه الادوات نذكر مقص برونزي وابرة برونزية، كما ذكر هيرودوت ان عملية استخراج النسيج المخي كانت عن طريق الة حديدية، كما تم العثور على الة برونزية ترجع الى عصر الدولة الحديثة كما يشير هيرودوت الى صناعة ادوات خاصة أداة نزع المخ، واشتهرت هذه الادوات في الفترة التي زار فيها هيرودوت مصر في القرن الخامس قبل الميلاد وكانوا يستخدمون هذه الاداة في حشرها داخل الجمجمة، ويقوم المحنط بلف الجزء العلوي الممسوك باليد فيقطع انسجة المخ ويحولها الى قطع صغيرة.(25)

اما فتحة التحنيط فكانت تقطع بحجر ويقصد به مشرط حجري ويرجع الى القرن الرابع قبل الميلاد، كما تقدم المصريون في الادوات الجراحية وخاصة الانواع المختلفة من المشارط اما باقي الأدوات المستخدمة في عملية التحنيط، فكان المحنطون يقومون بفصل

اعضاء البطن عن بعضها ويلتقطونها بملاقط مختلفة الاشكال، كما استخدم المحنطون في ادواتهم ملعقة برونزية.(26)

وفيما يخص مواد التحنيط فقد استخدم المحنطون مواد مستوردة ومحلية بديلة لعملية التحنيط وذلك طبقا للطبقة التي ينتمي اليها المتوفي وكانوا على دراية وخبرة كيميائية بخصائص هذه المواد ومن ضمن هذه المواد:

"الماء" كمادة للتطهير وكان الهدف منه اعادة الميلاد وازالة الاوساخ المتعلقة بالجسد، اما عن المادة الثانية فكانت "ملح النطرون" وهو عنصر اساسي يساعد على التجفيف واستخلاص المياه والسوائل، وهو مخلوط ملحي يتكون من كربونات وبيكربونات وكلوريد السلوفات الصوديوم التي تعمل كمجفف، اما عن ثالث مادة وهي مادة ذات "رائحة طيبة" تضم في مكوناتها مواد قابضة وحامض الدهين وكان الهدف منها طرد الحشرات والروائح الكريهة وهي تتكون من: قشرة جذع شجرة القرفة وكان المحنطون يحظرون منه نوع من الزيوت، والسائل المستخرج من نبات المر ويميل لونه الى الاصفر وكانوا يستوردونه من الصومال، والبصل بالإضافة إلى قشرة نشارة الخشب العطرية، ورابع مادة وهي "المواد الصمغية" وهي عبارة عن نوعين "الراتنج" وهو مستحلب طبيعي يأخذ من اشجار الصنوبر والعرعر، بينما كانت المادة الخامسة تحتوي على "الزيوت والدهون" وكانت تظم "زيت الارز" وايضا دهن الثور فكان يغلى ويصب داخل الجمجمة وعلى السطح الخارجي للجسم، أما عن اخر مادة من مواد التحنيط فكانت تسمى بـ "نبيذ البلح" واعتبرها المحنطون من المواد المعقمة وقد استخدمت في تنظيف اليدين قبل وضعهما داخل الجسد وهو عبارة عن عصير يأخذ من شجرة النخيل.(27)

ولم يكن التحنيط عند المصريون القدماء مقتصر على المعالجة الطبية للجسد فقط؛ بل ارتبطت به وسائل إضافية لحماية الجسد، وكانت عبارة عن تمائم وأحجبة ذات أشكال

صغيرة تعلق في الأجزاء المختلفة من الجسد تهدف إلى إيقاف تحلله وفساده، أخذت هذه التمائم أشكالا متعددة بالإضافة إلى رموز دينية ذات دلائل معينة عند المصريون القدماء، وكانت التمائم الإلهية تمثل الآلهة التي لها دور مهم ومرتبط بعملية التحنيط مثل الإله "أوزيريس" وهناك أيضا تمائم أولاد "حورس" الأربعة ومن أهم التمائم التي توضع على جسد المتوفي الجعران(28).

وهو عبارة عن حجر يأخذ شكل جعران ويوضع فوق عضلة القلب وهناك أيضا تمائم "عين حورس السحرية" التي تسمى في النصوص المصرية القديمة "عين وجات" وكانت توضع فوق فتحة التحنيط التي قام المحنط بفتحها من أجل استخراج الأحشاء

وكان الهدف منها منع الأرواح الشريرة من الدخول للجسد، وهناك أيضا تمائم "عنخ وجد" وترمز إلى الخلود وإعادة الحياة والوجود الأبدي، كما توضع أيضا فوق حلق المتوفي في يوم الدفن، وهناك أيضا تميمة "درجات السلم" وترمز إلى البعث من الموت وكان المتوفي يصعد على السلم إلى السماء.(29)

والواضح ان لكل تميمة قوة وحماية خاصة وموضعا مخصصا لها في الجسد وقد تركزت ألوانها في لونين: الأخضر والأزرق وهما اللونان المرتبطان بإيعاد الميلاد والبعث في العالم الأخر، وقد رافقت عملية التحنيط في كل خطوة طقوسا دينية.

ب– خطوات التحنيط: قد اختلف الباحثون في عددها بعضهم ذكر بأنها ثلاثة عشر خطوة والبعض الاخر أكد أنها أقل من ذلك، وهي بكل المقاييس خطوات منظمة ومدونة في وثائق المصريين وترتكز إجراءات المحنطين في ست خطوات رئيسية تبدأ بالغسل والتطهير وتنتهي بالتكفين ورافقت كل خطوة طقوسا دينية وهي كالآتي:

1.ب الغسل والتطهير: حيث يقوم المحنطون بتنظيف الجسد من الاوساخ العالقة به وذلك بوضعه في حوض الغسل الذي يتناسب مع طول المتوفي، أحيانا ما يقوم اثنان من المحنطين بإيقاف الجسد في وضع طولي داخل الحوض ويقف على اليمين واليسار كاهنان يمسكان بأواني فيها مياه وملح النطرون ويقومان بصبها على الجسد، والهدف من ذلك معنوي وطقسي وتمثيل لما يحدث للشمس عند موتها وميلادها مرة أخرى، الشمس عندا تغرب فهي في نظر المصريين قد ماتت وتهبط إلى العالم السفلي وتتلون بالون الاسود، وكان المصري القديم يعتقد أن الشمس حين موعد ميلادها تتخلص من لونها الأسود بالاغتسال أي أن الغسل يساعد على موتها وميلادها مرة أخرة.(30)

2.ب نزع المخ والأحشاء: حيث كان المخ ستخرج من فتحتي الأنف، لأن المخ هو أول ما يتعرض للتعفن من أنسجة الجسم(31)، وكان الأسلوب المتقن في عملية التحنيط

يستلزم إزالة وإخراج الأمعاء والمخ عن طريق الأنف[32]، ولكن أحيانا ما ينزع من فتحة خلف العنق، ويستخدم المحنط ألة نحاسية طويلة تشبه سنارة الصيد والتي يبلغ طولها 40سم ويدخلها داخل الجمجمة من منطقة العظمة ويقوم بتحريك الطرف الخارجي للأداة الموجودة خارج الجسد فيقوم الطرف الداخلي بقطع نسيج المخ الى قطع صغيرة حتى يسهل إخراجها من فتحتي الأنف ويساعد في إخراجها سكب المياه، وكان المخ يوضع في أنية صغيرة تدفن أمام المقبرة أو في مكان قريب منها، وبعد الانتهاء من تفريغ الجمجمة من النسيج المخي يقوم المحنط بنشر كتان مغموس براتنج[33]، او بصب كمية كبيرة من دهن الحيوان المغلي وذلك من خلال فتحتي الأنف، وفي بعض الأحيان يترك المحنط المخ داخل الجمجمة دون نزعه ولكنه حشر من فتحتي الأنف حبات من الفلفل الأسود وفيما بعد أصبحوا يستخرجون المخ من الجمجمة باستخدام شوكة حديدية ويضعون الراتنج ليحفظوا بقدر الإمكان كل ملامح البدن.[34]

اما عن استخراج الأحشاء الداخلية فكانت تتم بعد انتهاء من معالجة الرأس لكي تتم معالجتها منفصلة بعد تنظيفها من السوائل وبقايا الدماء والأطعمة، وتنزع هذه الأحشاء من فتحة التحنيط التي عملها المحنط في الجانب الأيسر من البطن ويقوم بإخراج كل من الرئتين والمعدة والأمعاء والكبد مع الاحتفاظ بالقلب والكليتين في أماكن طبيعية وتوضع هذه الأحشاء بعد غسلها وتطهيرها في أواني كانوب وبعد ذلك يتم غسل تجويف البطن والصدر بنبيذ البلح وبعض محاليل التوابل والأعشاب الطبية، ثم يتم حشو التجويف بالعقاقير والمواد الكيميائية الحافظة والمواد العطرية وفي النهاية يلفها في لفائف الكتان وتلصق بالصمغ[35]، وتوضع في أنية مخصصة لها فيما عدا القلب والكليتين، لأن المحنط يضع العضوين الأخيرين في الجسد بعد معالجتهما.

أما القلب فكان له دور في العالم الأخر أثناء المحاكمة باعتباره موضع النيات والمسؤول عن أعمال المتوفي، والواضح أن المصريين كانوا ينضرون إلى القلب على أنه أداة لفهم الروحي ولهذا

لا يزلونه كما يفعلون مع الأعضاء الداخلية[36]، والمعروف أن القلب من أكثر الأعضاء عرضة للتحلل والتلف لأن عضلة القلب تكون داخل كيس أو غشاء مما يصعب وصول "ملح النطرون" [37]، إلى داخله أثناء عملية التجفيف، أما الكليتين فلم يتم التوصل لسبب إرجاعهما للجسد بعد المعالجة.[38]

3.ب وضع مواد الحشو: حيث كان المحنطون يضعون داخل الفراغ في البطن والصدر بعد إفراغ الأحشاء مواد الحشو وذلك في مرحلتين ما قبل التجفيف وما بعد التجفيف، الأولى كان القصد منها فترة زمنية معينة تسبق تجفيف الجسد حيث إن عملية التجفيف لو بدأت دون وجود مواد الحشو المؤقتة فهذا يعني أن جدار البطن المعلق في الهواء لن يكون أسفله شيء مما يعرضه للتصدع والانهيار عند لمسه بعد التجفيف مباشرة وحتى الفراغان البطني والصدري لم يتم تجفيفهما بسرعة لنفس التجفيف الخارجي للجسد مما يستلزم وجود مواد الحشو المؤقتة والتي تنزع مباشرة بعد انتهاء ومن التجفيف.

أما مواد الحشو الدائمة فتبقى في الجسد للأبد ولا تنزع منه لأنها تعطي له خصائص الجسم، بالإضافة إلى أن هذه المواد تساعد في قتل البكتيريا التي تتسرب للجسد وقد أثبت من فحص الأجساد المصرية المحنطة أن هناك ثلاثة أنواع من لفافات الكتان داخل

فراغات الجسد قبل التجفيف وهي لفافات الكتان بها ملح النطرون والهدف منها امتصاص المياه داخل الجسد، لفافات كتان فقط لامتصاص السوائل المتبقية، لفافات كتان تضم مواد عطرية لاكتساب الجسد رائحة زكية وكانت كل هذه اللفائف تنزع من الجسد بعد اكتمال عملية تجفيفه وتوضع في أنية مخصصة لعملية التحنيط .[39]

أما الثانية فكانت مواد الحشو الدائمة التي عثر عليها داخل الأجساد المحنطة فكانت تظم ملح النطرون ونشارة الخشب العطري والمر والقرفة إضافة إلى البصل، وهناك نوع أخر من مواد الحشو لم تظهر بشكل مفصل إلا في أواخر العصور الفرعونية وهي مواد الحشو تحت الجلد، والهدف منها إعطاء الجسد خصائصه وملامحه عندما كان صاحبه حيا حتى يستطيع أن يصل إلى العالم الأخر دون نواقص حتى تستطيع الروح أن تتعرف عليه[40]، لأن المصريون القدماء عرفوا التحنيط لحفظ أجسادهم لأنهم ظنوا النفس ترجع إلى الجسد كما كان[41]، وكانت مواد الحشو تحت الجلد توضع في الطبقة الوسطى بين البشرة الخارجية والطبقة الدهنية والطبقة الوسطى "الأدمية" وتضمنت هذه المواد الطين والكتان والرمال ومواد دهنية.[42]

4.ب التجفيف: يعتبر من النقاط الرئيسية في حفظ الأجساد لأن الهدف منها هو التخلص من ثلثي وزن الجسد، بالإضافة إلى البقايا الموجودة داخل الجسد من الأطعمة التي تناولها المتوفي في وجبته وفي هذه الخطوة يلقي المحنطون كميات كبيرة من ملح النطرون فوق الجسد لمدة أربعين يوم وعامل التجفيف الوحيد أمام المحنطين هو ملح النطرون، ويسمى في النصوص المصرية باسم "نثري" ويتكون من كربونات وكلوريد وسلفات الصوديوم، العنصران الأولان يقومان باستخلاص المياه من الجسد بينما العنصران الأخيران يكونان خلايا تقوم بقتل البكتيريا[43]، وكان الجسد المراد تحنيطه يوضع وقت التجفيف

على سرير حجري أو على سطح السرير توجد قناة مائية تتجمع فيها المياه المختلفة من الجسد لتسير في القناة أسفل القدمين وتتجمع في حوض حجري في أسفل السرير .[44]

5.ب صب الزيوت والدهون: حيث يعالج المحنط في هذه الخطوة كافة التغيرات الجسدية التي حدثت بعد التجفيف مثل لون الجسد الذي تحول إلى البني الغامق وذلك من أثر التفاعل بين ملح النطرون وأنسجة الجلد مما أدى إلى احتراقه، وتفتح مسامات الجلد بعد امتصاص المياه وانكماش الدهون أسفل الجلد، بالإضافة إلى صلابة الجلد، وكانت المواد المعالجة هي الزيوت والدهون التي اوضحت اهميتها بعض النصوص[45]، وبعد ان ينتهي المحنطون من صب الزيوت والدهون يقومون بإغلاق فتحات الجسد، ويقوم المحنط بسد فتحات التحنيط الاخرى وهي العينان الاذنان وفتحتا الانف بالإضافة الى الفم، ويقوم المحنط بإدخال العينين ويضع فوقهما قشرة بصل لمنع دخول البكتيريا ويجمع طرفي الجفنين ويلصقهما بشمع النحل والراتنج، ويسد فتحتي الاذن بأقراص الراتنج، اما الانف فيقوم المحنط بحشوه بالتوابل اما الفم فكان يلصق الشفتين معا بشمع النحل.[46]

6.ب التكفين: وتهدف الى توفير حماية اضافية الى الجسم بعد معالجته طبيا حتى تمنع عوامل التحلل او الاقتراب من الجسد لان المحنط يعلم ان المعالجة الطبية وحدها لا تكفي بل لابد من توفير وسائل حماية اخرى مثل التكفين ووضع الجثة المحنطة في التابوت، وكانت تمر لفائف الجسد باثنتا عشر مرحلة من الراس حتى لف الجسد كله بلفائف الكتان وكانوا يمررون قطعة من الكتان اسفل الذقن وتعقد على قمة الرأس ثم لف الذراعين بدءً من الكتف ثم الكتفين وربطهما بالجذع وبعدها مد اللفائف اسفل الراس حتى الساقين والقدمين، حتى تلف بقية الاطراف مع الجسد ويضع المحنط الذراعين في الوضع النهائي، واذا كان المتوفي من طبقة غير ملكية يوضع الذراع بجانب الجذع، اما اذرع

النساء فكانت تمتد على الجوانب الداخلية او الخارجية بين الفخذين[47]، وفي الاخير تنتهي خطوات التحنيط بوضع القناع على وجه الميت ويقوم المشرف على المحنطين بقراءة التلاوات والتعاويذ، وتوضع الجثة المحنطة بعدها في تابوت أو نعش يكون عادة مزين بصور الآلهة التي تعينه على الحياة بعد الموت واختلفت أنواعه حسب مكانة الميت ومستواه الاقتصادي.[48]

بعد الانتهاء من عملية التحنيط تقدم القرابين الى المتوفي حيث يوضع التابوت داخل صالة القرابين وذبح الذبائح، كان طقس تقديم القرابين تقليديا مصريا يوميا مبينا على أساس أن الآلهة والأموات من الناس يحتاجون إلى الطعام كما يحتاج إليه الأحياء وكان تقديم القرابين شعيرة ثابتة في الطقوس[49]، ثم يتحرك موكب الدفن مرفوق بالكهنة المرتلون والمحنطون، وسط نوع من الرقص الديني الجنائزي يسمى المو، وكان أهل الميت يعبرون عن حزنهم العميق طيلة سير الموكب وكانت النساء تلطم رؤوسهن بأيديهن، بينما كانت وجوهن ملطخة بالطين وصدورهن عارية وثيابهن ممزقة، أما الأفراد فكانوا يذكرون أثناء سيرهم فضائل الميت، فكانت فرقة أولى من الخدم تحمل الفطائر وباقات الزهور وجرار من الفخار وصناديق تحتوي على تماثيل صغيرة، وكان التابوت يوضع في قارب تحيط به تماثيل "ايزيس" و"نفتيس" كان الموكب يسير ببطء حتى يصل إلى شاطئ النيل في حين كان الكاهن الذي يرتدي جلد الفهد يحرق البخور أمام المومياء ويرتل التراتيل الحزينة على المتوفي [50]،ثم تأتي بعد ذلك شعيرة التطهير وفتح الفم والتبخير، فتحمل المومياء من المركب الجنائزي وتوضع في نعش امام المدفن ويقوم احد الكهنة بعملية التطهير ويقوم بعملية فتح الفم والعينين والأذنين كاهن اسمه «سم» وكان يقوم أولا بتطهير تمثال الميت ويضعه على قاعدة من الرمل، ثم يقوم بطقس فتح الفم وذلك بلمس

وجه الميت بآلات مختلفة يردد فيها "أنا افتح فمك كي تتكلم وافتح عينيك كي ترى وأذنيك كي تسمع ثم تمشي على رجليك كي ترفع عنك الأعداء..."[51].

ويتبع ذلك بعض الطقوس كي يستعيد الميت قدرته على تسلم الطعام الذي يقدم له يوميا في العالم الأخر، وتشمل هذه الطقوس على ممارسات التطهير والقربان، وأهم جوانب هذا الاحتفال هو لمس الفم بقدوم صغيرة، وبهذه الطريقة كانوا يعتقدون تجدد الحياة لجميع قدرات الجسد، ثم يقوم الكاهن بتبخير التمثال.

بعد الانتهاء من شعائر الدفن السابقة يعاد وضع المومياء داخل التابوت المزخرف بالتعاويذ والصور لترشد المتوفي الى عالم الخلود، ثم يقوم اهل المتوفي بجلب الاثاث الجنائزي وادخال التابوت الى المقبرة ودفن تماثيل المتوفي مرفقة بطقوس حماية المتوفي من طرف الكهنة، وتقديم القرابين للمتوفي من طعام التي اصبحت تصور على شكل مائدة قربان على واجهة الباب الوهمي لتتردد اليها الروح[52].

الخلاصة والنتائج:

تعتبر فكرة البعث والخلود من اوضح المعتقدات الدينية المصرية القديمة، فهي فكرة راسخة في ذهن المصري القديم، ويعد الموت بداية من بدايات مرحلة البعث والخلود مرة أخرى، والتي ضمنتها شعائر الدفن التي حرص اهل الميت على القيام بها عبر مراحل متسلسلة، فقد اتضح ان المصري القديم اعتقد في الخلود بعد الموت واعتقد ان الروح تنفصل عن الجسد لتستقر في السماء، وعندما تعود تكون قد جاءت لترى الجسد مرة اخرى وهذا يعني ان الروح قادرة على الادراك والتعرف على الكيان المادي الذي هو الجسد وشكله وملامحه، فوجوب تعرف الروح على الجسد هو ضمان للخلود ولكي تتعرف الروح على الجسد وملامحة كان يجب ان يكون خاليا من أي تلف او تغيير.

فمنذ ان بدأ الانسان المصري القديم بدفن موتاه في ظل ايمانه بحياة ما بعد الموت وهو يتخذ كل الخطوات المناسبة بإقامة شعائر الدفن مع امكانياته وخبرته للحفاظ على الجسد فكانت عملية التحنيط هي العامل الوحيد للاحتفاظ بالجسد سليما حتى تتمكن الروح التي انفصلت عنه بعد الوفاة ان تعود وتتعرف عليه وهو سليم لتدب فيه الحياة لينعم بالخلود ما بعد الموت.

(1)- هيرودوت، 1966م، **هيرودوت يتحدث عن مصر**، تر: محمد صقر خفاجة، الكويت، دار القلم، ص 67.

(2)- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، تر: محمد بدران، ج 2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص162.

(3)- سيد عويس، **الخلود في التراث الثقافي المصري**، القاهرة، دار المعارف، (د ت)، ص60.

(4)- محمد أبو زهرة، 1965م، **مقارنة أديان الديانات القديمة**، ط2، مصر، دار الفكر العربي، ص 16.

(5)- فوزي مكاوي، 1995م، **الناس في مصر القديمة**، مصر، المجلس الأعلى للآثار، ص137.

(6)- ياروسلاف تشرني، 1996م، **الديانة المصرية القديمة**، تر: أحمد قدري، ط1، بيروت، دار الشروق، ص112.

(7)- عبد العزيز صالح، 1973م، **الشرق الأدنى القديم مصر والعراق**، ج1، ط2، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ص ص114-116.

(8)- جيفري بارندر، 1978م، **المعتقدات الدينة لدى الشعوب**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 46.

(9)- خزعل الماجدي، 1999م، **الدين المصري**، ط1، عمان، دار الشروق، ص 192.

(10)- خزعل الماجدي، 2002م، **ميثولوجيا الخلود**: دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة، عمان، أزمنة للنشر والتوزيع، ص37.

(11)- أبو محاسن عصفور، 1987م، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، بيروت، دار النهضة العربية، ص 64.

(12)- أسامة حسن، 1998م، **مصر الفرعونية**، مصر،دار الأمل، ص 67.

(13)- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 18.

(14)-ج. اشيتندوف وسيل، م، **عندما حكمت مصر الشرق**، تر: محمد الغرب موسى، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1990ص 168.

(15)-صبيحة اوكيل، 2009م، **الدين والفن في مصر القديمة** (3200- 1085ق.م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص81.

(16)- ياغوسلاف تشرني، المرجع السابق، ص364.

(3) -احمد صالح، ا200 م، **لتحنيط فلسفة الخلود في مصر القديمة**، ط1، القاهرة، جماعة حور الثقافية، ص20.

(17)-احمد صالح، المرجع السابق، ص 20 ،21.

(18) –كاهن حور: هو سيد الورشة ويقوم بصب الدهون والزيت فوق جسد الميت. انظر: مختار السويفي، **أم الحضارات**، 1999م، تر: جاب الله علي جاب لله، ط1، ج1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص166.

(19)– هيرودوت، المصدر السابق، ص160.

(20)– سمير أديب، 2000م، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، ط1، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ص208.

(21)– والس بدج، يناير 1988م **كتاب الموتى الفرعوني** (عن بردية آني بالمتحف البريطاني)، تر: عن الهيروغليفية السير والسن فيليب عطية، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، ص180،181.

(22) – ديودور الصقلي: مؤرخ يوناني عاش في نهاية القرن الأول قبل الميلاد زار مصر عام 59ق.م ألف كتابا عن التاريخ العام منذ فجر التاريخ وقد أفرد الجزء الأول منه لتاريخ مصر وقد تناول أوضاع مصر السياسية والاجتماعية والدينية كما تناولها هيرودوت ولكنه كان أكثر منه إنصافا للمصريين. أنظر: محمد بيومي مهران، **الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة**، 1999م، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص68، 69.

(23)– والس بدج، المصدر السابق، ص200.

(24)–ج شتيندوف ك .سيل، المرجع السابق، ص157.

(25)– هيرودوت، المصدر السابق، ص110.

(26)– احمد صالح، المرجع السابق، ص50.

(27)–الن شوتر، 1996م، **الحياة اليومية في مصر القديمة**، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، ص93،94.

(28) – جعران: يطلق على الحشرة المقدسة بالغة المصرية القديمة "خيرر" وهو رمز للإله الخالق الاول الذي جاء إلى الوجود من تلقاء ذاته ومن ثم فقد وضع المصريون الجعارين في مكان القلب المتوفي أنظر: فرانسو دوما، 1998م، **حضارة مصر الفرعونية**، تر: ماهر جويجاتي، المجلس الأعلى للثقافة، ص734.

(29)– جفري بارندر، المرجع السابق، ص49،50.

(30)– محمود شاكر، **موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم**، ط1، دار أسامة لنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص210.

(31)– احمد صالح، المرجع السابق، ص41، 42.

(32)– عبد النعيم ضيفي عثمان، 2007م، **تاريخ مصر الفرعوني حتى العصر الحديث**، ط1، مصر، دار الرشاد، ص43.

(33) – راتنج: وهو مجموعة من الأحماض الدهنية الطبيعية التي تستخرج من أشجار الصنوبر و العرعر. انظر: مختار السويفي، المرجع السابق، ص162.

(34)– عبد النعيم ضيفي عثمان، المرجع السابق، ص85.

(35) – الصمغ : وهي صموغ تفرز من شقوق جذور الأخشاب وهي من المواد الهامة التي تطلى بها أخشاب المراكب وقطع الأثاث لحفضها من التأكل. انظر: رمضان عبده علي، 2002م، **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيئ حملة الإسكندر الأكبر**، ج2، ط1، جامعة المنيا كلية الآداب، ص179،180.

(36)عبد المنعم ضيفي عثمان، المرجع السابق، ص86.

(37) –ملح النطرون: هي كلمة مصرية قديمة وتعني "النثر " الشيء المقدس، وهناك كلمة اخرى مصرية وهي "بدى". انظر: والس بدج، المصدر السابق، ص186.

(38)–جفري بارندر، المرجع السابق، ص47.

(39)– هيرودوت، المصدر السابق، ص55.

(40)– أحمد صالح، المرجع السابق، ص44، 45.

(41)– هارفي بورتر، 1991م، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص34.

(42)– ج. شتيندوف ك. سيل، المرجع السابق، ص157.

(43)– هيرودوت، المصدر السابق، ص56.

(44)–ج شتيندوف ك سيل، الرجع السابق، ص46.

(45)– احمد صالح، المرجع السابق، ص47.

(46)– رمضان عبده، المرجع السابق، ص185، 186.

(47)– احمد صالح، المرجع السابق، ص49.

(48)– خزعل الماجدي، **الدين المصري**، المرجع السابق، ص246.

(49)– نفسه، ص230.

(50)–سمير اديب، المرجع السابق، ص335.

(51)– خزعل الماجدي، (الدين المصري)، المرجع السابق، ص243.

(52)– سمير اديب، المرجع السابق، ص337-338.